مدينة حارم ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي خلال عصر الدولتين النورية والصلاحية

في الفترة من (٥٤٦ ـ ٥٨٩هـ / ١١٥١ ـ ١١٩٣م)

دكتور

فاطمة أحمد محمود حسب

مدرس التاريخ الإسلامي

كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر

مدينة حارم ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي خلال عصر الدولتين النورية والصلاحية في الفترة من (٥٤٦ ــ ٥٨٩هـ / ١١٥١ ــ ١١٩٣م)

دارسة وتحليل

دكتور

فاطمة محمود

قسم التاريخ والحضارة، كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

Fatmahasab56@azhar.edu.eg

الملخص:

تعد مدينة حارم إحدى مدن الشام التي لعبت دورًا مهمًا في الصراع الصليبي الإسلامي، حيث ترتب على الحملة الصليبية الأولى(٤٩٠هـ/ ١١٩٦م) على بلاد الشام إقامة عدة إمارات منها إمارة أنطاكية، وأثناء ضم الصليبين لهذه الإمارة استولوا على بعض الحصون المجاورة فكانت حارم أحد هذه الحصون نظرًا لقربها من إمارة أنطاكية، ولا شك أن موقع حارم الاستراتيجي جعلها ميداناً للصراع بين المسلمين والصليبين، مما انعكس ذلك على جعلها ساحة للصراع المرير بينهما، واستمر تبادل حارم بين الجانبين الإسلامي والصليبي، إذ أنها كانت تمثل الورقة الرابحة لمن يستطيع أن يستولي على أنطاكية كان يضم حارم، إلى أن انتهى الأمر باستيلاء المسلمين عليها وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على إبراز دور مدينة حارم الشامية في الصراع الصليبي الإسلامي خلال عصر الدولتين النورية والصلاحية، من حيث الأسباب والأحداث والنتائج المترتبة عليه.

الكلمات المفتاحية: حارم – الصليبية – النورية – أنطاكية – الصلاحية – سوريا – الصراع الصليبي، المسلمين.

The city of Harem and its role in the Islamic Crusade conflict during Alnoriya and Alslahiya In the period states (546 - 589 AH / 1151 - 1193 AD)

Fatma Mahmoud
Department of History and Civilization ,Faculty of Humanities and Arabic
, Al-Azhar University, Egypt
E-mail : Fatmahasab56@azhar.edu.eg

Abstract

Harem city is considered to be one of cities of Syria ، which is played a vital role in The Islamic Crusade conflict ، where the crusade on the levant (Syria) a lot of princelies are stayed for example Antioch,During the annexation of the crusaders to this principality, they seized some neighboring forts and Harem was one of them because it was near to Antioch,So Harem has a big role in The Islamic Crusade conflict ،since the crusaders captured it ،Muslims have made a great effort to it from their hands, Harem's strategic location has undoubtedly made it a battleground for Muslims and Crusaders. This reflected on Harem and made it an arena bitter or difficult conflict between them, Harem exchange between the Islamic and Crusader sides is continued, as it was the winning card for those who could take Antioch .Until it ended up being taken over by Muslims .The study aims at highlighting the role of the city of Harem AL_shamiya in The Islamic Crusade During the era of the two Nouriya and Salhiya states, During which the levant witnessed the crusaders in terms of causes, events and Consequences

Key words : Harem's- Crusade - Alnoria – Antakuia- Alslahia – TheIslamic- Crusadeconflict -Muslims

المقدمة

تعد مدينة حارم إحدى مدن الشام التي لعبت دورًا مهمًا في الصراع الصليبي الإسلامي، حيث ترتب على الحملة الصليبية الأولى(٤٩٠هـ/ ١١٩٦م) على بلاد الشام إقامة عدة إمارات منها إمارة أنطاكية[١]، وأثناء ضم الصليبين لهذه الإمارة استولوا على بعض الحصون المجاورة فكانت حارم أحد هذه الحصون نظرًا لقربها من إمارة أنطاكية، لذا كان لحارم دور كبير في الصراع الصليبي الإسلامي، ومنذ أن استولى عليها الصليبيون بذل المسلمون جهدًا كبيرًا في استردادها من أيديهم.

أنطاكية: أعجمية معربة، قيل بتشديد الياء وقيل بتخفيفها، واسمها بالرومية أنطوخيا، بنتها بنت الروم بن عيص، تعتبر من أنزه بلاد الشام، عليها سور من صخر يحيط بها، وبها ثلاثمائة وستون برجًا كل برج ثلاث طبقات كانت مشحونة بالحرس ويطوف على سورها أربعة آلاف حارس كل ليلة، وتسميها الروم مدينة الله تعظيمًا لها ومدينة الملك وأم المدن، لأنها عندهم أول مدينة ظهر فيها النصرانية، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية على ساحل البحر المتوسط، ابن حوقل (أبو القاسم محمد) ت 367 هـ/ 987 م، المسالك والممالك، ليدن، سنة ١٨٧٣م، ص١١٩، ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم) ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، جـ١، ص٧٩، أبو الفدا (عماد الدين بن إسماعيل)، تقويم البلدان، باريس، سنة ١٨٣٠٠م، ص٢٨٥، وابن سعيد الأندلسي (علي بن موسي) ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٠م، ص١٥٤،

The cambridge History of Islam, Edıted by P.M. Holt , Camb,1970, volume1A,p177.

سبب اختيار الموضوع:

بالرغم من هذا الفيض من الدراسات العديدة والمتنوعة التي حظيت بها منطقة شمال الشام وثغورها المتاخمة للبيزنطيين منذ العصر الاموي والعباسي، وما تلاها من عصور حتى نهاية العصر الأيوبي من قبل المؤرخين العرب والمحدثين إلا أن ثغر[1] أو مدينة حارم لم تحظ بهذا الاهتمام، ولم تخصص لها دراسة مستقلة سياسية أو حضارية تتناول التاريخ السياسي والحضاري لها عبر العصور الوسطى، فلم تلق مدينة حارم القدر الكافي من الدراسة والبحث من قبل معظم المؤرخين، رغم أهميتها الاستراتجية والسياسية، ولما لهذه المدينة من أهمية كبيرة في التاريخ الاسلامي رأيت أن تكون هي محور هذه الدراسة، وهي محاولة متواضعة استنادًا على المصادر العربية والبيزنطية والصليبية، وما ذاك إلا إسهام متواضع لإظهار عدة حقائق تاريخية تتعلق بمدينة حارم.

(١) الثغور جمع ومفردها ثغر: هو كل فرجة أو بطن أو واد أو طريق مسلوك، وهو الموضع الذي يكون حدًا فاصلًا بين بلاد المسلمين والكفار، كما أنه الموضع الذي يخاف هجوم العدو منه، فهو كالثلمة في الحائط يخاف دخول السارق منها، الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب) ت٣٥٩هـ/٩٦٩م، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٥٩، الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر، القاهرة، ط٣، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩ م، ص٤٠٨.

أهداف الدراسة

الهدف الرئيسي لعقد هذه الدراسة هو إبراز دور مدينة حارم في الصراع الصليبي الإسلامي خلال عصر الدولتين النورية والصلاحية، تلك الفترة التي شهدت فيها بلاد الشام حروبًا صليبية ولا شك أن موقع حارم الاستراتيجي جعلها ميدانًا للصراع بين المسلمين والصليبين، مما انعكس ذلك على جعلها ساحة للصراع المرير بينهما، واستمر تبادل حارم بين الجانب الإسلامي والجانب البيزنطي ثم الصليبي، إذ أنها كانت تمثل الورقة الرابحة لمن يستطيع أن يستولي على أنطاكية يضم حارم إليه، ومن يرد أن يستولي على حلب لابد أن يضم حارم إليه.

منهج البحث

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة منهج البحث التاريخي القائم على الوصف والاستباط، وكذا المنهج التحليلي، وهو ما سيتم عرضه موضوعيًا في ثنايا هذه الدراسة، مع الالتزام بالتسلسل الزمني للأحداث وفق المنهج العلمي المتعارف عليه في الدراسات التاريخية.

تتضمن هذه الدراسة عدة محاور تتمثل في:

- سبب تسميتها بهذا الاسم.
- موقعها الجغرافي.
- حارم قبيل الحملات الصليبية.

- مدينة حارم بين المسلمين والصليبين على عهد نور الدين(١).
- مدينة حارم على عهد صلاح الدين الأيوبي(٢).

سبب تسميتها بهذا الاسم:

قيل أن أصل لفظ حارم يعود إلى اللغة الآرامية، وأن أقدم وثيقة ذكرت حارم باللغة السريانية تعود للقرن السابع الميلادي باسم (حرم)، وقال بعض الجغرافيين عن سبب تسميها بهذا الاسم مدينة حارم من الحرمان أو من الحريم،

---

(١) نور الدين محمود: أبو القاسم محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي بن الأمير آق سنقر التركي، ولد سنة ٥١١هـ/ ١١٧م، ولى نيابة حلب بعد وفاة أبيه، وكان حاملًا راية العدل والجهاد، تملك دمشق وافتتح حصونًا كثيرة، وبنى دارًا للعدل وأنصف الرعية، وكسر الفرنج والأرمن في حارم، وكان كثير البر والأوقاف زاهدًا عابدًا متمسكًا بالشرع مجاهدًا، توفي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م،، ابن خلكان(شمس الدين أبو العباسي أحمد إبراهيم بن أبو بكر الشافعي) ت 681 هـ/ 1282م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة1398هـ/1978م، جـ٥، ص١٨٤، ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م،، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، د.ت، جـ١، الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت 748 هـ/ 1347م، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 11، سنة1417هـ/1996م، جـ٢٠، ص٥٣٥.

(٢) صلاح الدين: أبو المظفر يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان التكريتي، ولد سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م، كان أبوه متولي نيابة تكريت للزنكيين، كما كان صلاح الدين محببًا للسلطان نور الدين محمود زنكي الذي أمره بالذهاب إلى مصر مع مقدم الجيوش أسد الدين شيركوه (عم صلاح الدين)، وصفه المؤرخون بأنه كان خليقًا للإمارة مهيبًا شجاعًا حازمًا مجاهدًا كثير الغزو، عالي الهمة، فدانت له العساكر، وقهر بني عبيد ومحا دولتهم، وتملك بعد نور الدين واتسعت بلاده، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٧، ص١٤٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ص٢٧٨ .

كأنها لحصانتها يحرمها العدو وتكون حرمًا لمن فيها[١]، وتشتهر مدينة حارم بمواقع أثرية متنوعة وثنية ومسيحية وإسلامية' وهذا يدل على التنوع الحضاري والمكانة التاريخية لمدينة حارم، لذا يوجد بها الأديرة والكنائس والجوامع والدور القديمة والقصور ومن هذه الآثار عمود سرمدا – دير سلونة – الدور القديمة – قلعة حارم – الجامع الكبير، وغيرها من الآثار القديمة[٢].

الموقع الجغرافي:

تتمتع مدينة حارم بموقع استراتيجي على درجة كبيرة من الأهمية، حيث ذكر الجغرافيون بأنها حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، تقع بين حلب وأنطاكية، حيث تقع على السفح الشمالي الغربي للجبل الأعلى، وتطل من الغرب على سهل العمق الفسيح، والذي كان يعرف بعمق حارم، وهذا السهل تنتشر فيه الكثير من المدن وأهمها مدينة أنطاكية القريبة من مدينة حارم، وإلى الشرق منها تقع قمم جبل الأعلى[٣] وجبل باريشا[٤]، وإلى الجنوب والغرب تقع جبل الدويلة، وكل هذه الجبال تعرف بجبال حارم والتي تكثر بها الآثار

---

(١) ياقوت الحموي،(شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) ت ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، معجم البلدان، دار صادر بيروت، سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، جـ٢، ص٢٠٥.

(٢) فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، د.ت، جـ٢، ص١٢٣.

(٣) جبل الأعلى : يمثل سلسلة جبال الشام الغربية وتسير من الطرف الشمالي لمرج الروج، وتمتد حتى حارم وعم، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص١٦٤.

(٤) جبال باريشا: تمثل سلسلة بلاد الشام الشرقية وتكون مع جبال بركات أو سمعان حاجزًا صعب العبور بين منطقتي أنطاكية وحلب، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص١٦٤.

البيزنطية[١]، وأ يضًا بها آثار إسلامية ترجع إلى العصر الأموي والعباسي[٢]، وقد عدها ابن النديم ضمن الثغور الشامية[٣]، وهكذا توفرت الحصانة والحماية لمدينة حارم، لوقوعها بين الوديان وإحاطتها بالجبال، فأصبحت صعبة المنال لمن يحاول الإستيلاء عليها.

إلى جانب أهمية حارم الاسترتيجية فلها أهمية اقتصادية أيضًا، حيث تشتمل على العديد من القرى التي اشتهرت بظروف بيئية جيدة، حيث يكثر بها الأنهار والوديان والينابيع حتى أطلق عليها البعض مدينة الينابيع السبعة، وتقع شمال الشام[٤]، وهذا ساعد على وجود الكثير من أنواع الأشجار المثمرة والمزروعات المتنوعة والتى تدل على خصوبة أرضها[٥]، وشهرتها بالكثير من أنواع الفاكهة وبالأخص الرمان، وقد ذكرها ابن سعيد بأنها حصن كثير الأرزاق، وقد خص بالرمان، كما أطلق عليها غوطة دمشق الصغرى لكثرة ما

(١) ابن الشحنة(أبو الفضل محمد) ت٨١٥هـ/ ١٤١٤م، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبدالله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، سورية، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، د.ط ص١٦٧.

(٢) ابن شداد(عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحي زكريا عبارة، دمشق، سنة ١٩٩١م، جـ٢، ص٨٠.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، جـ١، ص ٢٥٠٣.

(٤) ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر) ت أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، سنة1310هـ/ 1892م، ص٩٧.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، جـ١، ص ٢٥٠٣، ٢٥١٣.

فيها من سائر الفواكه[١]، كما أنها تشتمل على قرى كثيرة، ويقع بالغرب منها ناحية يقال لها الإقليم[٢]، وهذا يدل على أن حارم اتسعت بعد استيلاء البيزنطيين عليها، وبعد أن كانت بلدة صغيرة على عهد الفتح الإسلامي، ومن ثم أصبح لها قرى تابعة لها، ويقوم على شؤون إقليم حارم ما يزيد على ثلاثين واليًا نائبين عن السلطان[٣]، كما كان العنصر السكاني الغالب فيها هو عنصر الأرمن[٤].

ونظرًا لأهمية حارم كحصن حصين تجاه أنطاكية لذا أحصيت ضمن مدن العواصم[٥]، فهي بموقعها تمثل نقطة استراتيجية هامة على الحدود بين البيزنطين وبين المسلمين، حيث استفاد الروم من موقعها أثناء غزوهم لأنطاكية

(١) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص١٥٤.

(٢) ابن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٦٧.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ١، ص٧٠.

(٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ١، ص٧٠.

(٥) العواصم: جمع مفردها عاصم وهو المانع ومنه قوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وقيل بأن العواصم حصون وموانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية، حيث أن المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا إلى الثغر، هي الخط الثاني للدفاع عن الثغور التي يعتصم بها المسلمون، وهي التي تعصم الثغور وتمدها في أوقات النفير، قدامة بن جعفر(أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد) ت329هـ/940م، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد الزبيدي، دار الرشيد للنشر، سنة 1402هـ/ 1981م، ص ١٨٥، الحموي، معجم البلدان،جـ٤، ص١٦٥.

سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م[١]، وتبادلت حارم بين المسلمين والروم ثم الصليبين فيما فيما بعد، فكان الصراع فيها بين مد وجزر[٢]، وسيتبين ذلك من خلال الدراسة.

حارم قبيل الحملات الصليبية:

كانت حارم قبل الفتح الإسلامي بلدة صغيرة[٣]، واقعة تحت حكم البيزنطيين، ثم دخلها الاسلام أثناء الفتوحات الإسلامية الكبرى التي تمت في بلاد الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٦هـ/٦٣٧م، وتحرير بلاد الشام من الاحتلال البيزنطي[٤]، فبعد أن فتح أبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه مدينة حلب توجه بعدها لفتح أنطاكية والبلدان المجاورة لها كحارم وغيرها، حيث هرب إليها كثير من الجنود البيزنطيين أثناء فتح المسلمين لمدينة قنسرين[٥].

من الجدير بالذكر أن حارم كانت بلدة لم تكن بالكبيرة كأنطاكية أثناء الفتح

---

(١) القلقشندى(شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على) ت 821هـ/1418م، صبح الأعشي في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، نسخة أخرى طبعة دار الكتب المصرية، سنة1340هـ/1932م، جـ٤، ص١٢٤، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، ص٢٣١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٩٣.

(٣) ابن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٦٥.

(٤) نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام، ترجمة حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، مكتبة المهتدين، القاهرة، سنة ١٩٥٠م، ص٥٥.

(٥) قنسرين: مدينتها حلب، وكانت عامرة، غاصة بأهلها، كثير الخيرات تقع على طريق العراق إلى الثغور، ابن حوقل، المسالك والممالك، ص١١٧، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جدـ٤، ص٤٠٣.

الإسلامي لمنطقة شمال الشام، لذا لم يذكر المؤرخون إلا المعلومات النادرة عنها، وذلك لقربها من مدينة أنطاكية وكل من يستولي على أنطاكية كان يضم حارم وما جاورها من بلدان أخرى، لذا فنجد اهتمام المؤرخين بذكر أنطاكية وإغفال المدن المجاورة لها كحارم والتي كانت تابعة لها، لأن ما يحدث لأنطاكية كان بالتالي تتأثر به حارم لتبعيتها لها.

حاول المسلمون محاصرة أنطاكية ومدينة حارم والقرى المجاورة، واستطاعوا اخضاع تلك المناطق، وتم الصلح بينهم وبين المسلمين على دفع الجزية والجلاء عنها، لكن بعد فترة من الوقت نقض هؤلاء البيزنطيون عهدهم مع المسلمين، فوجه أبو عبيدة رضى الله عنه لهم الصحابيان عياض بن غنم رضى الله عنه وحبيب بن مسلمة الفهري رضى الله عنه ففتحوا أنطاكية وحارم والبلاد المجاورة(١).

هكذا تم فتح مدينة حارم على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه واتخذ المسلمون منها ومن مدينة أنطاكية قاعدة لانطلاق الغزو إلى ما ورائهما من المدن المجاورة(٢)، وحرصًا من الخليفة على الحفاظ على حارم وأنطاكية وما تم فتحه من المدن أمر بنقل أقوامًا من أهل حمص وبعلبك يرابطون بها لحماية

(١) الواقدي(محمد بن عمر بن واقد السهمي) ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م، فتوح الشام، تحقيق هاني الحاج، المكتبة الوقفية، جـ١، د.ت، ص٣٤٠، البلاذري(يحي بن جابر) ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م، البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق أيمن محمد عرفة، المكتبة الوقفية، القاهرة، د.ت، ص١٨٦.

(٢) البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ص٢٠٣.

الحدود خوفاً من عودة البيزنطيين إليها[١].

توالى بعد ذلك اهتمام الخلفاء في عهد الدولة الأموية بحارم وأنطاكية وما جاورها من مدن شمال الشام، حيث أدرك معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ومن جاء بعده من الخلفاء الأمويين الأهمية الاستراتيجية لحارم كثغر من الثغور الشامية، فأقاموا نظام ثابت لحماية الحدود والشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين، ومراكز دفاعية وحاميات عسكرية في حارم وغيرها من مدن الثغور، وفي المعاقل الأمامية والممرات الجبلية على تخوم الدولة البيزنطية [٢]، لذا رأى معاوية ضرورة الاهتمام بالمدن الثغرية كحارم وأنطاكية وبخاصة لتعرضهما الدائم للغارات البيزنطية، فأغرى الناس في سنة ٤٢هـ/٦٦٢م على الإقامة في هذه المناطق الحدودية شمال الشام كمدينة حارم وأنطاكية ومنح الناس الإقطاعات، وتم تعمير هذه المدن الحدودية بنقل الناس إليها من بعلبك وحمص والبصرة والكوفة[٣]، لكن توالت هجمات البيزنطيين على حارم وما حولها من حين لآخر بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٣هـ/٦٨٠-٦٨٢م).

نعمت حارم وما جاورها من المدن الثغرية فترة من الهدوء والاستقرار

---

(١) البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ص١٨٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٤، ٦٤٢.

(٢) سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٧، سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٣٠.

(٣) البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ص١٨٨.

النسبي لتراجع هجمات البيزنطيين على المناطق الحدودية بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية، ويرجع السبب في ذلك إلى الإتفاقية التي أبرمها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(٦٥هـ- ٨٦م/ ٦٨٤-٧٠٥م)، مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني(٨٧-٩٣هـ/٧٠٥- ٧١١م)، والتي تم التوصل بموجبها إلى شبه تسوية بين الطرفين على الولايات المتنازع عليها[١]، ومن بينها الحدود الفاصلة بين الدولتين وإقرار السلام بينهما، وتم الاتفاق على أن يقوم الإمبراطور بسحب الجراجمة المردة[٢] من لبنان، ويوقف غاراتهم وأن يعطي عبد الملك للرومان سنويًا ثلاثمائة وخمس وستون ألفًا دينارًا[٣]، وتستمر المعاهدة مدة عشرة أعوام، وذلك لكي يتفرغ عبد الملك بن مروان على ضبط

(١) الواقدي، فتوح الشام، ص٣٤٠، البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ص١٨٧.

(٢) الجراجمة المردة: قوم كانوا تابعين لبطريق أنطاكية ومنطقتهم تقع فيما بين بياس وبوقا على جبل اللكام، وبحكم موقعهم الجغرافي ووضعهم السياسي كانوا يحمون الدولة البيزنطية من هجمات المسلمين، وكانوا يشنون غارات على المسلمين وبخاصة في المناطق الساحلية بتحريض من الدولة البيزنطية، فاضطر الخليفة عبد الملك بن مروان شراء سكوتهم وتفاديًا للحرب، فعقد مع الامبراطور البيزنطي هذه المعاهدة التي تمت الإشارة إليها في المتن، البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ص١٦٦، أسد رستم، الروم في سياستهم ودينهم وثقافتهم وحضارتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٥٥، ص٢٦٩، محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص٩١.

(٣) دينار: يساوي نظريًا مثقالًا واحدًا أي ٤,٣٣٣جم، فالتر هانتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، سنة ١٩٧٠م، ص٢٩.

أموره الداخلية[١]، وقد ترتب على سحب الجراجمة المردة إلى إضعاف قوة الرومان، لأن كل مدن الثغور التي يسكنها العرب من بلاد الجزيرة إلى البلاد الأرمينية أصبحت لا تواجه حاميات بيزنطة[٢]، لكن لم يلبث أن نقض الامبراطور البيزنطي هذه الاتفاقية، واشتعلت الحرب مجددًا بين الطرفين سنة ٧٤هـ/٦٩٣م، لكن النصر كان حليف المسلمين[٣].

سادت بعد ذلك فترة من الهدوء بين المسلمين والبيزنطيين في بلاد الشام، ساعدت على أن تنعم مدينة حارم بفترة من الاستقرار، وتوالت الأحداث، ومع وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٨م) تجدد الصراع بين المسلمين والبيزنطين في منطقة الثغور، إذ خرجت الحملات العسكرية الإسلامية واتخذت من منطقة حارم وغيرها من الثغور قاعدة للانطلاق لمهاجمة البيزنطيين سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م، واستمر الحال بين المسلمين والبيزنطيين حول حارم وما جاورها من مناطق الثغور بين شد وجذب طيلة العصر الأموي.

وفي العصر العباسي تطور وضع مدينة حارم فبعد أن كانت ثغرًا من الثغور الشامية جعلها الخليفة هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م)

---

(١) البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ص١٦٦، محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص٩١.

(٢) قسطنطين بورفيروجنتيوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، تعليق محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠، ص٨٥.

(٣) قسطنطين بورفيروجنتيوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٦٧.

أيضًا ضمن العواصم التي تعصم الثغور وتمدها وقت النفير[١]، وتقع خلف الثغور كأنها تحميها وتعصمها[٢] وبذلك يكون الخليفة هارون الرشيد قسم مناطق الثغور إلى منطقتين أحدهما مناطق الثغور المواجهة مباشرة للعدو وتضم ثغور الشام والجزيرة، والثانية تمثلت في الثغور التي جعل منها نظامًا دفاعيًا خلفيًا سماه العواصم[٣]، ولاشك أن حارم كانت أحد هذه العواصم، نظرًا لقربها من أنطاكية.

لكن بمرور الوقت أصبحت حارم تابعة للحمدانيين الذين نجحوا في إقامة كيان سياسي منفرد لهم وتأسيس إمارة قوية في شمال الشام عاصمتها حلب سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م[٤]، فدخلت معظم مدن التغور في حوزة سيف الدولة الحمداني[٥] ولا سيما الثغور الشامية التي كان من بينها حارم[٦]، فبعد وفاة

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص١٨٦.

(٢) الخوارزمي(محمد بن أحمد بن يوسف) ت٣٧٨هـ/٩٨٨م، مفاتتيح العلوم، تحقيق إيرم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ستة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٤٣.

(٣) البلاذري، البلدان وفتوحها وأحكامها، ص١٨٥.

(٤) ابن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٦٥، ابن العبري(غريوريوس أبو الفرج أهرون) ت٦٦٠هـ/١٢٨٦م، تاريخ مختصر الدول، صححه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دتر الرائد اللبناني، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٩٢.

(٥) سيف الدولة : أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان صاحب حلب، كان أديبًا مليح النظم، ولد سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، كان مالكًا لواسط ونواحيها، ثم انتقل إلى الشام وملك دمشق وكثيرًا من بلاد الشام وبلاد الجزيرة، وله معارك كثير مع الروم، توفي سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م، وتولى من بعده ابنه أبو المعالي،ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، ص٤٠١، الذهبي، سير أعلام النبلاء،جـ١٦، ص١٨٨.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب جـ١، ص، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ص٣٨٠.

الإخشيد أعلن أمير الثغور نصر الثملي تبعيته لسيف الدولة الحمداني، ومن هنا انتقل أمر الثغور للحمدانيين(١).

واعترفت الخلافة العباسية بسيادة الحمدانيين على الثغور الشامية، وهذا بالطبع يرجع إلى ضعف الخلافة في ذلك الوقت عن تحمل مواجهة البيزنطيين، وأصبحت حماية الثغور بيد الحمدانيين، واستمرت في أيديهم إلى أن شنت الدولة البيزنطية هجومًا عنيفًا بقيادة نقفور فوقاس عام(٣٥٨ - ٣٦٨ هـ / ٩٦٨-٩٧٨م) (٢)، وكان الحاكم القائم عليها آنذاك يدعى أبو المعالي شريف بن سيف الدولة الحمداني(٣)، فلم يستطع مواجهة البيزنطيين الذين حاصروا أنطاكية وضموا حارم وما جاورها من مدن الثغور إلى حوزتهم(٤)، وهكذا سقطت حارم في يد البيزنطيين بعد أن دامت في يد المسلمين حوالي ثلاثة قرون من الزمان.

---

(١) ابن الأثير(عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني) ت 630هـ/ 1232م، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفدا القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1407هـ/ 1987م، جـ٧، ص٢٠٣، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة جـ٢، ص٣٠٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٨، ص٤٣٦، التاريخ الباهر للدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، ص٦، بينما يذكر ابن العبري أن أنطاكية فتحت في عام ٣٥٦ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٩٤.

(٣) أبو المعالي شريف بن سيف الدولة الحمداني: تولى حكم الدولة الحمدانية بعد أبيه سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م، وظل في الحكم حتى وفاته سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، ص٤٠٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٨، ص٤٣٦، ابن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٦٥.

(٤) ابن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٦٥.

عادت حارم إلى البيزنطيين مرة أخرى، واهتموا بها وأدخلوا عليها وعلى غيرها من مدن الثغور التوسعات الكبيرة، حيث قاموا بتجديد وتحصين المدن المهمة في سوريا ومنها قلعة حلب، حصن حارم وغيرها من الحصون الأخرى(١)، خوفًا من هجوم المسلمين على أنطاكية(٢)، كما بنى البيزنطيون بها حصنًا ليحمي مواشيهم من غارات العرب(٣).

والواقع أن نظرة واحدة لموقع حارم وما يجاورها يؤكد مدى اهتمام كلا من البيزنطيين والمسلمين لضمها، فتارة تكون مع البيزنطين وتارة أخرى مع المسلمين، حسب قوة أحد هذه الطرفين في ضمه لأنطاكية(٤)، إضافة إلى كون حارم بمثابة حاجز مانع يمنع الوصول لحلب، لذا اهتم بها البيزنطيون اهتمامًا كبيرًا، وأقاموا بها حصنًا قويًا، من أجل الاستيلاء على ما جاورها من مدن وبخاصة حلب، ثم أعطيت حارم بعد ذلك كمقطعًا من صاحب أنطاكية إلى أحد فرسان الروم وكان يدعى المارويز، فبنى هذا الرومي بها قلعة وهي التي أطلق عليها قلعة حارم، ووضع علمًا على الحصن وظل إلى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م،ولم يغيره أحد من الملوك الذين يستولون على هذا الحصن(٥) وبهذا نجد أن البيزنطيين جعلوا من هذه البلدة الصغيرة مدينة وأقاموا بها حصنا وقلعة،

(١) ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٤م، جـ١، ص٣٥٤.

(٢) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ص٨٩.

(٣) ابن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٦٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٩٣.

(٥) ابن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٦٥.

ومن ثم كانت لها أهمية كبيرة في الصراع الإسلاي البيزنطي.

وفي ظل تبعية حارم للبيزنطيين اختلف دورها السياسي تمامًا عما كان من قبل، فلم يعد يقتصر الصراع عليها بين بيزنطة والدولة الإسلامية فقط، بل أصبحت محل صراع لكثير من القوى السياسية الجديدة التي ظهرت على الساحة في بداية القرن ٥هـ/ ١١م، إذ ظهرت قوة الأتراك السلاجقة(١) بعد ما ضعفت الدولة الحمدانية وانتهت، فازداد نفوذ السلاجقة في الخلافة العباسية، ووقع على عاتقها مسؤلية حماية الحدود ومناطق الثغور وتوفير الأمن بها، ففي عام ٤٧٧هـ/١٠٨٤م عادت حارم إلى السيادة الإسلامية مرة أخرى تحت حكم

(١) السلاجقة: ظهروا في منتصف القرن الخامس الهجري منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وهم قوم من الأتراك الغز نسبوا إلى جدهم سلجوق بن دقاق، انتقلوا من تركستان إلى حدود نهر سيحون، ثم اعتنقوا الإسلام، وبعد وفاة سلجوق انتقلوا إلى إقليم بخارى والتحقوا بالدولة الغزنوية، لكن لم تستمر تبعيتهم لهم، فثاروا عليهم واستولى زعيمهم طغرلبك على خراسان التابعة للغزنويين، بعد ذلك بدأوا يتوسعون على حساب القوى الإسلامية والبيزنطية، فاستولوا على أجزاء من فارس والعراق وأرمينية، وأسيا الصغرى، ثم اتصلوا بالخلافة العباسية بعد أن استنجد بهم العباسين للتخلص من النفوذ البويهي، انقسمت الدولة السلجوقية إلى عدة دول مستقلة، سميت كل منها باسم المنطقة التي تسيطر عليها، فكان هناك سلاجقة إيران والعراق، الروم بأسيا الصغرى، وسلاجقة الشام، مجهول، مختصر سلجوق نامه، الذي يعد اختصارًا لكتاب الأوامر العلائية لابن بيبي، ترجمة وتقديم محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، د.ن، د.ت، ص جـ مقدمة المؤلف، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٧، ص٢٣٦، عبد النعيم محمد حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1402هـ/ 1982م، ص2،
Rene Grousset: TheEmpirof the Steeepes Ahistory of Central Asia , Traslated from Tbe Frencb by Naomi Walford, New Jersey, 1970,p p 158-159.

السلاجقة[١]، حين ملك سليمان بن قطلمش[٢] (٤٧٠-٤٧٩هـ/ ١٠٧٧-١٠٨٦م) مدينة أنطاكية ضمن ما ملكه من الحصون المجاورة من أيدي الروم، وظلت حارم تحت حكم السلاجقة إلى أن وقعت في يد الصليبين[٣].

وكان الأمير القائم على حارم من قبل السلاجقة وقت دخول الصليبين إلى أنطاكية سنة٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م يدعى ياغي سيان[٤]وكان يتمتع بالكفاية السياسية، وتتحدث عنه المصادر بأنه لم يهمل ولم يقصر في الدفاع عن حارم

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١١٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٨، ص٤٣٦.

(٢) سليمان بن قطلمش: ابن شهاب الدولة بن إسرائيل بن سلجوق وهو جد الملوك أصحاب الروم، وكان له حصون وقلاع، وعصى على ابن أخيه ألب أرسلان، وحاربه بالقرب من الري، ومات في المعركة سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٥٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص٧١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج، ١٨، ص١١٢.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٥٠، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ٢، ص٣٨٤،
The cambridge History of Islam, Edıted by P.M. Holt , volume1A,p174.

(٤) ياغي سيان: ذكره العظيمي باسم يغي سنان، وذكره ابن الأثير بياغيسيان، وذكره سبط بن الجوزي باسم يغي شعبان، العظيمي(محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي) ت٥٥٦هـ/ ١١٦١م، تاريخ حلب، جامعة الملك سعود، د.ت، ص ٣٥٠، سبط بن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف) ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٣٤ه/ ٢٠١٣م،جـ١٩، ص٤٩١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص١٤

وأنطاكية وما يجاورهما[١] بل حاول ياغي سيان مقاومة الصليبين بكل ما أوتي من قوة[٢]، وقامت حامية حارم بدور كبير أثناء محاولة الصليبين الاستيلاء على أنطاكية، إذ أقام ياغي سيان اتصالًا بينه وبين حاميته في حارم لقيامها بمناوشة الصليبين من خلال الجسر الحديدي على الطريق إلى حلب وحثها على مناوشتهم في مؤخرتهم[٣]، كما كان على حاميتها أيضًا الهجوم المفاجئ على الجنود الصليبين الذين كانوا يتوغلون بعيدًا عن الجيش بحثًا عن الكلأ والطعام، لكن تمكنت حملة بقيادة بوهيمند من استدراج حامية حارم[٤] وأنزلت بها الكثير من أعمال التخريب والدمار[٥]، ووقعت حارم في يد الصليبين بمساعدة أهلها من السريان والأرمن نتيجة تحالفهم مع الصليبين[٦]، وهكذا سقطت حارم

(١) ذكره ابن الأثير بقوله:" فظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره"، ووصفه ابن العديم بأنه: "حسن التدبير في سياسة العسكر"، القلانسي، دمشق، ٢٨٨ ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص١٤، ابن العديم، زبدة حلب، ص٢٣٩.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٥.
The cambridge History of Islam, Edıted by P.M. Holt , volume1A,p174

(٣) ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ١، ص٣٤٣..

(٤) ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ١، ص٣٤٣..

(٥) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة١٩٩١م، جـ١، ص٣١٢.

(٦) ويرجع هذا التحالف الذي تم بين أهالي أنطاكية وحارم في تقديم العون للصليبين لإساءة تمت بين ياغي سيان وبين هؤلاء ومصادرته لأموالهم، فأرادوا أن ينتقموا منه فساعدوا الصليبين وراسلوهم، وهجموا على أنطاكية وحارم، واستولوا على كثير من المناطق التابعة لأنطاكية، القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٥، العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٥٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص١٤، ابن العديم، زبدة حلب، ص ٢٣٩.

بعد أن كانت هي الحامية لأنطاكية من ناحية حلب[١]، في يد الأرمن الذين سلموها للصليبيين[٢]، وترتب على ذلك ضم الصليبيون لأنطاكية وحارم وغيرها من الحصون المجاورة، وهذا يوضح أن من يملك أنطاكية كان مالكًا لحارم لقربها منها.

مدينة حارم بين المسلمين والصليبيين على عهد نور الدين محمود

دخلت مدينة حارم في مرحلة جديدة من تاريخها السياسي حينما طرقت أبوابها جنود الحملة الصليبية في ذي القعدة ٤٩١هـ/ نوفمبر١٠٩٧م، كانت الحروب الصليبية عاملًا محركًا للمسلمين وموقظًا لهم من غفلتهم حتى يهبوا ويلتفتوا إلى سهام عدوهم التي بدأت تجتاز الثغور إلى مقاتلتهم ويدركوا واقعهم ويتبصروا في أسباب الوهن والضعف الذي أصابهم، حيث ترتب على انحلال الدولة السلجوقية وضعفها ظهور عدد كبير من البيوت الحاكمة لا تجمعها رابطة إلا الاتصال بالبيت السلجوقي، ومن تلك البيوت ظهرت وحدات سياسية أطلق عليها اسم الأتابكيات[٣] وعلى أصحابها اسم الأتابكة[٤]، وبعض هذه

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٩، سنة ٢٠١٠، جـ١، ص١٦٤.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ١، ص٣١٤.

(٣) الأتابكيات: ترجع إلى نظام الإقطاع الذي ابتدعه السلاجقة، وطبقوه في أقاليم دولتهم، وأصبح عنصر هام من نظمهم السياسية والإجتماعية، حافظ حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، مطبعة الاعتماد، سنة١٩٥٠، ص٩٤.

(٤) الأتابكة: مشتقة من أتابك وهو لفظ تركي مركب من مقطعين "أتا" ومعناها أب، و"بك" وتعني أمير، فهي بذلك الوالد الأمير، وكان هذا اللقب يطلق على من يتولى تربية أولاد السلاطين السلاجقة بالنسبة لحداثة سنهم، وأول من تلقب به نظام الملك، وكان هؤلاء

الوحدات صغيرة جدًا لا يتعدى أسوار مدينة أو قلعة واحدة[١].

من هذا المنطلق تولى أحد الأتابكة وهو عماد الدين زنكي (٥٢١هـ/١١٢٧م) أتابك الموصل من قبل السلطان محمود السلجوقي (٥١٢-٥٢٦هـ/ ١١١٨-١١٣١م) [٢]، وحاول جاهدًا في توحيد القوى الاسلامية لمواجهة الصليبين وإعلان الجهاد في سبيل الله، وبدأ عماد الدين زنكي في زعزعة مراكز الصليبين شرقي نهر العاصي حتى وفاته(٥٤١هـ/١١٤٦م) [٣]، وتولى الجهاد من بعده ولده نور الدين محمود (٥٤١-٥٧٠هـ/ ١١٤٦-١١٧٤م) [٤] الذي سار على نهج أبيه في محاربة الصليبين.

أدرك نور الدين محمود أن واجبه يحتم عليه القيام بعمل حاسم ليتفهم الصليبيون أن القوة الإسلامية قوية وعنيفة، تستطيع أن تحرر كل شبر من أراضيها وتعمل على إضعاف هيبة أعدائها، ومن ثم اهتم نور الدين بمواصلة الجهاد ضد الصليبين، واستولى على العديد من القلاع والحصون التي كانت

الأتابكة هم أصحاب النفوذ الفعلي في البلاد، E.C.Smail: Crusading Warfare , Cambridge 1956, P65.

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص٩٧.

(٢) القلانسي، دمشق، ص٢١٨، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٣٢، الكامل في التاريخ، جـ٩، ٢٤٣، أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل) ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزنبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، جـ١، ص١١٤.

(٣) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٢٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٢٧٠.

(٤) القلانسي، تاريخ دمشق، ٢٨٥.

بأيدى الصليبين كتل باشر[١] وأعزاز[٢]، وعين تاب[٣]، ومرعش[٤]، وغيرها من الحصون الواقعة شمال حلب[٥]، وطبيعي أن يكون لانتصارات المسلمين على الصليبين واستيلائهم على إمارة الرها[٦]، وعلى مناطق الثغور في بلاد الشام صدى واسع في المجتمع الأوروبي[٧]، فازدادت مخاوف أوروبا حول مكانة الصليبين في الشرق الاسلامي، ومن ثم أعدوا العدة للحملة الصليبية الثانية(٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) للقضاء على قوة الزنكيين في شمال العراق والشام، وأيضًا لتأمين الأوضاع الخاصة بإماراتي الرها وأنطاكية، لأنهما الإماراتان

(١) تل باشر: تقع شرق حلب، بها المياه والبساتين، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٣٢..

(٢) أعزاز: حصن مشهور شمالي حلب، وهو من أنزه الأماكن التي في جهاتها، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٣٢ .

(٣) عين تاب: بلدة حسنة كبيرة، ولها قلعة منقوبة في الصخر حصبة، وهي كثيرة المياه والبساتين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ـص١٧٦.

(٤) مرعش: مدينة صغيرة من بلاد الشام، كان لها زروع وأشجار كثير، ابن حوقل، المسالك والممالك، ص١٢١. .

(٥) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٢٠، ص٣٨٩.

(٦) إمارة الرها: أول إمارة أقامها الصليبيون في الشرق الأدنى الإسلامي، أثناء الحملة الصليبية الأولى ٤٩١هـ/ نوفمبر١٠٩٧م وظلت في أيديهم إلى أن أعادها عماد الدين زنكي والد نور الدين محمود سنة٥٤٩هـ/ ١١٤٤م، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٢٠، ص٣٤٩.

(٧) القلانسي، تاريخ دمشق، ٢٨٨.

اللتان تعرضتا لضربات الزنكيين بحكم تطرفهما جهة الشمال(١)، فأرسلت إلى بلاد الشام، لكنها فشلت في تحقيق مرادها، فما كان من الصليبين إلا أنهم انسحبوا بسبب النجدات الإسلامية التي تدفقت على دمشق(٢)، وبالتالي ارتفعت الروح المعنوية للمسلمين في الشرق الاسلامي، وثبتت مكاسب المسلمين في بلاد الشام(٣).

وفي عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م توفي سيف الدين غازي(٥٤١-٥٤٤هـ/١١٤٦-١١٤٩م)(٤) أتابك الموصل أخو نور الدين، وحدث تنازع حول تركته بين أخويه نور الدين وقطب الدين (٥٤٤- ٥٦٦هـ/١١٤٩-١١٧٠م)، وانتهى النزاع بين الأخوين بأخذ قطب الدين مدينة سنجار(٥) مقابل تنازله لنور الدين عن حمص، ومن هنا ازداد نفوذ نور الدين محمود في بلاد الشام بضمه

(١) حسن حبشي، نور الدين والصليبيون حركة الإفاقة والتجمع الإسلامي في القرن السادس الهجري، دار الفكر العرب، د.ت، ص٥٢، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص٤٩٨.

(٢) القلانسي، تاريخ دمشق، ٢٨٨.

(٣) ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص٣٣٩.

(٤) سيف الدين غازي: كان غازي حسن الصورة، كريما، وهو أول من حمل السنجق على رأسه من السلاجقة، وعلامة صفراء توضع على الرأس، ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ٢، ص٤٨. وتقسيم املاك عماد الدين ابن الأثير، الكامل، جـ١٠، ص٣٤١، التاريخ الباهر، ص٨٥، ٩٢، ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٢.

(٥) سنجار: تقع في جنوب نصيبين وهي من أحسن المدن وجبلها من أخصب الجبال، وهي مدينة وسط برية ديار بكر، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٨٢.

لحمص[١]، ثم ولى نور الدين في نفس العام وجهه نحو إمارة أنطاكيه فحاصرها، وأغار على الأقاليم المحيطة بحارم على الضفة الشرقية من نهر العاصي، وفي ذلك الوقت طلب نور الدين محمود من معين الدين أنر صاحب دمشق المساعدة فأمده بقوة من فرسانه[٢]، والسؤال هنا لماذا اكتفى نور الدين بالإغارة على الأقاليم المحاطة بحارم ولم يفتحها ويخلصها من الصليبين؟

على ما يبدوا أن نور الدين وجد أن القوات معه غير كافية، وهذا كان سببًا حال دون فتحه لحارم، بدليل أنه أرسل إلى معين الدين أنر يطلب منه إمداده بقوة، وهذا ما تم بالفعل، إذاً قويت شوكت نور الدين وبلغ عدد جيشه بعد إرسال معين الدين أنر له المدد حوالي ستة آلاف مقاتل، ثم ترك نور الدين حارم بعد أن خرب ماحولها واكتفى بذلك، ورأى أن يرتحل إلى فتح الحصون المجاورة حتى تكتمل القوة الكافية لفتح مدينة محصنة تحصيناً قويًا كأنطاكية وحارم، وتوجه من بعدها لحصن إنب من أعمال عزاز بحلب [٣]؛ وما أن وصل خبر توجه نور الدين لقلعة إنب تحرك ريموند صاحب أنطاكية على الفور، ولم

(١) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٩٦، ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٣، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص ٢٣، ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ ٢، ص٣٨٧.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٠٤.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٠٥،ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٩٩، ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٤.

Willam of Tyre, A history of Deeds Done Beyond The Sea, Vol 1.Tras and annotated by Emily Babcok and A.C.New Yourk. 1943, pp 196:198.

ينتظر اجتماع القوات الكافية، وبهذا فقد ارتكب ريموند خطأً كبيرًا في تسرعه لقلة عدد المقاتلين معه فقد كانوا حوالي ألف وأربعمائة فارس(١)، ولكن كان عليه الإنتظار حتى تستكمل القوات الكافية لذلك.

وبالتالي كانت المعركة غير متكافئة من حيث العدد إذا ما قورن عدد الصليبيون بعدد جيش نور الدين محمود البالغ ستة آلاف مقاتل، والتقى الجمعان وتقاتلا فانهزم الصليبيون(٢) وأبادهم نور الدين محمود عن آخرهم وقتل ريموند صاحب أنطاكية(٣) الذي وصفه ابن الأثير بقوله" وكان عاتية من عتاه الفرنج وعظيماً من عظمائهم وذوي القدم فيهم والملك"(٤).

لا شك أن مصرع ريموند كان من أشهى الأماني عند المسلمين، فقد زال من على مسرح النضال رجل كان من أشد وأقوى أعدائهم(٥)، وأقيمت الأفراح ابتهاجًا لهذا الخبر، ونظمت في مقتله القصائد الشعرية(٦) وأوضحت المصادر مدى فرحة المسلمين بذلك فيقول ابن القلانسي" وجد اللعين البلنس(٧) مقدمهم صريعًا بين حماته وأبطاله، فعرف وقطعت رأسه، وحمل إلى نور الدين فوصل حامله بأحسن صلة، وكان هذا اللعين من أبطال الإفرنج المشهورين بالفروسية

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٠٥.
(٢) ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص٣٧٨.
(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٠٥..
(٤) ابن الأثر، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٣٦٣، التاريخ الباهر، ص٩٩.
(٥) حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ص٨١.
(٦) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٧، ٣٣٨.
(٧) مصطلع البلنس: ذكره ابن القلانسي بالبلنس، أما بقية المصادر ذكرته بالبرنس..

وشدة البأس وقوة الحيل، وعظم الخلقة مع اشتهار الهيبة وكبر السطوة والتنافي في الشر"[١]، ويقول ابن العديم:" وكان ممن قتل في هذا اليوم البرنس صاحب أنطاكية، وكان من عظماء الفرنج وأقويائهم"[٢] ثم أرسل نور الدين رأسه إلى حلب[٣].

وفي نفس الوقت توجه نور االدين إلى أنطاكية مرة أخرى وحاصرها، لكنه أدرك أن سقوط المدينة سوف يستغرق وقتًا طويلًا وجهدًا كبيرًا، وأن قوات الصليبين في بيت المقدس وطرابلس سوف تسرع لنجدتها، لذلك آثر نور الدين محمود أن يهاجم بكل رجاله، وانتهز فرصة اضطراب أحوال الصليبين بسبب موت ريموند، واستولى على المعاقل االشرقية لنهر العاصي، فحاصر حارم لأنها إحدى معاقل إمارة أنطاكية من الناحية الشرقية، لكن الصليبين صالحوه على نصف أعمال حارم، وانصرف منها إلى مدينة أفامية[٤].

ويصادف النصر الذي حققه نور الدين على الصليبين في موقعة إنب هزيمة جوسلين أمير الرها في ولايته غرب الفرات في تل باشر على يد السلطان مسعود سلطان سلاجقة الروم، إذ انتهز السلطان مسعود هزيمة الصليبين على

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٠٥.

(٢) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٤.

(٣) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٤، ابن الوردي(عمر بن مظفر بن أبي الفوارس) ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م، تتمة المختصر، طبعة أكسفورد، د.ت، جـ٢، ص٤٩.

(٤) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٠٥.

يد نور الدين في موقعة إنب فهاجم مرعش[١]، إذ كان من المفترض أن يزحف جوسلين نحو ريموند ليساعده في حروبه ضد نور الدين، لكنه لم يفعل شئ سوى أنه أراد اغتنام الفرصة بانشغال ريموند وسارع بالإستيلاء على مرعش والتي كانت تابعة لإمارة الرها[٢]، ثم لم يلبث أن جوسلين وقع أسيرًا في يد التركمان سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م، وانهارت إمارة الرها[٣]، وسهل على نور الدين أن يفتح الكثير من البلدان[٤] التي كانت تابعة لإمارة الرها، واكتفى نور الدين بما حققه من مكاسب، وعندئذٍ أمر باستدعاء قواته من أمام حارم وأنطاكية[٥].

السؤال هنا ما هو موقف الصليبين في أنطاكية بعد مقتل أميرهم ؟

لاشك أن موت ريموند دي بواتيه صاحب أنطاكية، وهو من أشهر زعماء الصليبين أحدث فراغاً بين الإمارات الصليبية الأخرى، حيث أصبحت حارم

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٠٥.سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص٥٠٥.

(٢) ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، جـ٢، ص٣٧٩.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ١، ص١٢٣ .

(٤) كتل باشر، وكفر ثالا، ومرعش، كفر سوت، حصن بسرفوث، دلوك، الراوندان، حصن البارة، تل خالد،، قورس، إعزاز، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٠٣.

(٥) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص٥٠٥، محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥- ١٢٩١، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ص١٠٤.

وأنطاكية تحت حكم بيوهمند[١] ابن ريموند[٢]، وتولت كونستاس الوصايه على ولده بوهمند الطفل، لذا اهتم بلدوين أمير مملكة بيت المقدس بأمور أنطاكية وحارم أشد الاهتمام[٣]، وأراد أن يتدارك الموقف في حارم وأنطاكية بعد موت ريموند، ويرجع هذا الاهتمام إلى خوف بلدوين من وقوع أنطاكية تحت تبعية الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (٥٣٧-٥٧٦هـ/ ١١٤٣-١١٨٠م) الذي كانت تدين له كونستاس زوجة ريموند المقتول بالطاعة والولاء، لذا أراد بلدوين أن يجعل كونستاس زوجة ريموند تابعة للصليبين وليس للإمبراطور البيزنطي، وبالفعل تزوجت من رينو أحد المغامرين الصليبين، وتولى رينو حكم إمارة

(١) ابن الوردي(عمر بن مظفر بن أبي الفوارس) ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م، تتمة المختصر، طبعة أكسفورد، د.ت، جـ١، ص٤٩، لما قتل ريموند تولت زوجته كونستاس الحكم مع ولدها الصغير بوهمند الثالث، لكن بلدوين الثالث أمير مملكة بيت المقدس رأى أن تزويج كونستاس زوجة المقتول وهي التي كانت في ريعان شبابها من أمير صليبي من أتباعه يدعم الإمارة ويدفع عنها أطماع الإمبراطور البيزنطي، وبالتالي يمكن له من التصرف في الممالك الأخرى ببلاد الشام، وعرض على كونستاس عدة أسماء من الرجال الصليبين لاختياره كزوج لها، ولكنها رفضت بحجة أن تتفرغ للوصاية على ابنها الصغير، ولكن ما لبثت أن أحبت مغامرًا هو رينو دي شاتيون، وأرسلته إلى بلدوين للموافقه على زواجهما، تم ذلك بالفعل وعاد إلى أنطاكية وتولى حكم إمارة أنطاكية إلى أن يكبر ابن ريموند، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٠٥، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٩٩، وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٣٤٦، ستيفن رانسيمان، الحملات الصليبية، جـ٢، ص٣٨٣، حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ص٨٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤٠٦، التاريخ الباهر، ص٩٩، ابن العديم، زبدة حلب، ٣٣٤.

(٣) حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ص٨٣.

أنطاكية[١].

لا شك أن نور الدين كان يراقب الأحداث من قرب ومن بعد، وأعد العدة للإستيلاء على دمشق الواقعة تحت حماية الصليبين، لكن هنا سؤال يطرح نفسه لماذا لم يقدم نور الدين على فتح حارم وأنطاكية بدلًا من فتحه لدمشق؟ من خلال دراسة جهاد نور الدين في بلاد الشام تبين أنه ينظر بعين ثاقبة لكل فتح يقدم عليه، فمن المعروف أن نور الدين كان محاربًا لا يعتريه الكلل ولا ينالـه النصب، وكان شديد الحرص على أن تتوالى انتصاراته بعضها في أثر بعض[٢]، فلو أنه يعلم أن فتحه لحارم في ذلك الوقت هو المناسب لما اكتفى بالمصالحة مع الصليبين في كل مرة يحكم الحصار عليها هي وأنطاكية، لكن يمكن الجواب على ذلك من خلال افتراضين:

الإفتراض الأول: يخص الجانب الصليبي، فربما أن نور الدين لم يقدم على أنطاكية وحارم على أساس خوفه من تكتل الصليبين ضده، خاصة بعد أن رأينا بلدوين أمير مملكة بيت المقدس اعتبر نفسه هو المسؤل عن إمارة أنطاكية وتدخله في اختيار أميرًا لها، وإتيانه من الجنوب(فلسطين) إلى الشمال لتدارك الأمر في أنطاكية وحارم بعد مقتل ريموند.

الإفتراض الثاني: يخص جانب المسلمين، فبعد أن استولى السلطان السلجوقي مسعو(٥١٠-٥٥١هـ /١١١٦-١١٥٦م) على البلاد التي كانت تابعه

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٠٥، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٩٩، وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٣٤٦.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٤١٣.

لإمارة الرها وشاركه في ذلك الأراتقة[١] في حصن كيفا وماردين، فأراد نور الدين عدم الاحتكاك بهم، وأن يكون على علاقة طيبة معهم، لكي يقدموا له يد المساعدة أثناء فتحه لدمشق وتخليصها من أيدى أسرة طغتكين[٢].

بالفعل تم له ذلك ففتح دمشق سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٣م[٣]، وبفتحه لدمشق ازداد نفوذ نور الدين أكثر من ذي قبل، واستولى على مساحات شاسعة شمال الشام ووسطها، وبالتالي خاب ظن الصليبين في استرداد ما استولى عليه المسلمون من البلاد التي كانت تابعة لإمارة الرها والبلاد الواقعة حول أنطاكية وحارم[٤]، بعدها ولى نور الدين وجهه شطر حارم وأنطاكية.

بالفعل عاد نور الدين محمود إلى حصار حارم عام ٥٥١هـ/١١٥٦م،

---

(١) حكم الأرتقيون حلب في عهد نجم الدين إيلغازي الأول بن أرتق، وكان صاحب حلب سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م، والأرتقية من الأسر الحاكمة، ترجع في نسبها إلى أرتق بن أكسك، مؤسس دولة بني أرتق، تشعبت دولتهم فحكمت طبقة السكماني بحصن كيفا وآمد خلا الفترة الكائنة بين سنتي(٤٩٥-٦٢٩هـ/ ١١٠١-١٢٣١م) وحكم بنو أرتق خرتبرت خلال سنى(٥٨١-٦٣١هـ/ ١١٨٥-١٢٣٣) كما حكم بنو أرتق ماردين،ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٦، زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، أخرجه حسن محمد حسن، حسن أحمد محمود،، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، سنة١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٣٤٤.

(٢) مسفر بن سالم الغامدي، الجهاد ضد الصليبين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، (٤١٩-٥٦٩هـ/ ١٠٩٧- ١١٧٣م) دار المطبوعات الحديثة، السعودية، ط١، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، ص٢٦٠.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٢٨.

(٤) مسفر بن سالم الغامدي، الجهاد ضد الصليبين في الشرق الإسلامي، ص٢٦٠.

وحاول الاستيلاء على حصنها[١] وضيق الخناق على من بها من الصليبين، لأن باستيلائه على حارم إذًا يستطيع الإستيلاء على أنطاكية، فحارم بمثابة البوابه الشرقية لأنطاكية من ناحية حلب والتي من خلالها يسهل الدخول إلى أنطاكية[٢]، ونظرًا لأهمية حارم فقد أحكم الصليبيون تحصينها، وجعلوه من أمنع الحصون وأشدها[٣]، وكان القائم على الحصن أحد القادة الصليبين الأقوياء، ووصفه المؤرخون بالشيطان، فيقول ابن الاثير:"وكان بالحصن شيطان من شياطين الفرنج" [٤].

حاول هذا القائد الصليبي القائم على أمر حارم أن يثني الصليبين على عدم مواجهة نور الدين وترك لقائه، وحذرهم بمواجهتهم لنور الدين، وأشار عليهم بالصلح معه، ودارت المراسلات بينهم وبين نور الدين وفي ذلك يقول ابن واصل بعد أن وصف قلعة حارم بأنها من أمنع الحصون وأحصنها في نحور المسلمين:" فاجتمعت الفرنج من قرب منها وبعد، وساروا نحوه لمنعه، وكان بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يعرفون عقله وحسنه، وحسن رأيه، ويرجعون إلى قوله، فأرسل إليهم يعرفهم قوتهم، وأنهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من العدد والعدد وحصانة القلعة، ويشير عليهم

(١) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٧.

(٢) ينظر للخريطة ص٣٨، ٣٩ من البحث.

(٣)، ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٧، ٣٣، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٢٢.

(٤) الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤٠٦.

بالمطاولة وترك اللقاء، وقال لهم:" إن لقيتموه هزمكم وأخذ حارم وغيرها، وإن حفظتم أنفسكم منه أطقنا الإمتناع علي، ففعلوا ما أمرهم به وأشار عليهم"(١) وبالفعل طالبو نور الدين بالصلح على أن يعطوه حصة من أعمال حارم، فأبى أن يجيبهم إلى على مناصفة الولاية، فأجابوه، ورجع نور الدين إلى حلب(٢).

يتضح من النص السابق أن الله عز وجل ألقى الرعب في قلوب الصليبين، فنصحهم قائد الحصن بالمصالحة مع نور الدين؛ لأنه علم باستعدادات نور الدين وحشده للقوات الكبيرة لفتح حارم، وأنهم لم يكونوا على قدر من الاستعداد الكافي الذي يستطيعون من خلاله مواجهة نور الدين، وصرح لهم بأنه من الأفضل المصالحة معه، وإلا ستكون العاقبة وخيمة عليهم بقوله" إن لقيتموه هزمكم" فكان قائد الحصن يعلم علم اليقين بأنه لو تمت مواجهة بينهم وبين نور الدين هزمهم، والدليل على ذلك ما أحرزه من انتصارات والقضاء على أميرهم ريموند وقتله، بالإضافة إلى أسره لجوسلين أمير الرها، ولهذا طالبوا بالصلح، فتم وعاد نور الدين إلى حلب.

أما عن السبب الذي جعل نور الدين يكتفي بالصلح والحصول على نصف ما يخرج من حارم، هو حاجته للمال لتجهيز الجيش والإنفاق على الفتوحات، لا سيما وأنه في حالة جهاد مستمر وهو في أمس الحاجة إلى مال للإنفاق على الجيش هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لتسديد ما كان مقررًا عليه دفعه

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٠٩ .

(٢) ابن القلانسي، دمشق، ٢٨٥، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٢٨.

لبلدوين أمير مملكة بيت المقدس، إذ أن نور الدين وافق عند فتحه دمشق على عقد هدنة بين بلدوين أمير بيت المقدس ونور الدين مدتها سنة على أن دفع مبلغ ثمانية آلاف دينار لبلدوين، وهو ما كان مقررًا على حكام دمشق السابقين(١).

لكن لم يلبث أن نقض الصليبيون الذين عرفوا بالغدر وخيانتهم للعهود والمواثيق على مدار التاريخ، وعاثوا فسادًا وشنوا الغارات على الأعمال الشامية كبلدتي حمص وحماة(٢)، مستغلين ما أصاب البلاد من خراب جراء الزلازل(٣) التي أصيبت بها بلاد الشام، وحاولوا الإستيلاء على حصن حارم، ورموه بالمجانيق، إلى أن ملكوه بالسيف(٤)، وكان من الطبيعي أن يكون هناك ردة فعل من جانب نور الدين فتوجه على الفور بعد علمه بما فعله الصليبيون بحارم وغيرها من البلاد إلى إحدى المعاقل الصليبية بإقليم السواد، لكن حدث

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٣٦، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٢٨.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٣٧، ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٨.

(٣) تشير المصادر إلى أنه في سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م حدث زلزال مروع أصاب بلاد الشام، وكان ذات رجفات متتابعة، أدت إلى خراب البلاد وهلاك العباد، وكأن أشدها بحماة وشيزر، وما جاورهما كحصن بارين والمعرة، وأفامية وأنطاكية، وغيرها من البلاد والقرايا، وهلك خلق كثير لا يحصيها إلا الله، وعلى أثره تهدمت الأسوار والقلاع، واستمرت الزلازل بالبلاد سبع سنين، فقام نور الدين بجمع العساكر وأقام على أطراف البلاد، خوفًا من هجوم الصليبين عليها، ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٣٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤١٣، التاريخ الباهر، ص١١٠، ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٣٨، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٣٢.

(٤) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٣٧، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٦٢.

اختلاف بين عساكر نور الدين مما اضطره العودة إلى دمشق(١).

وعلى الرغم مما أصاب بلاد الشام من زلازل ونجم عنها الكثير من الخراب والدمار إلا أن الصليبين لم يوقفوا غاراتهم وفسادهم فيها، وأطلقوا أيديهم بالسلب والنهب، وحاولوا استرداد بعض المدن كشيزر وغيرها(٢)، بل انتهزوا الفرصة واتفق كلًا من الملك بلدوين الثالث أمير مملكة بيت المقدس وأمير أنطاكية وأمير طرابلس واجتمعت كلمتهم على مهاجمة نور الدين(٣)، يتضح ذلك من قول ابن القلانسي:" عن انتهاء الخبر إليه بتجمع أحزاب الإفرنج خذلهم الله وقصدهم لها وطمعهم فيها"، فلما علم نور الدين بذلك جمع قواته استعدادًا لمواجهة الصليبين، لكن أصيب نور الدين بمرضٍ خطير أشرف منه على الموت، فما كان منه إلا أن أوصى أخيه نصرة الدين محمد بحلب ولقائده أسد الدين شيركوه بدمشق نائبًا عن نصرة الدين محمد، وحمل نور الدين إلى قلعة حلب(٤).

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٣٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤١٣، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٦٢.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٣٧، وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٤٢١.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٤٨، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٦٢.

(٤) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٤٩، ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٤٠، وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص ٤١٧، ٤٢١، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٣٠.

لكن لم يلبث أن انتهز الصليبيون مرض نور الدين، فيذكر وليم الصوري موضحًا انتهاز فرصة مرضه بقوله:" استغلال هذا الوضع المهم لصالحهم"(١) وقاموا وشددوا حصارهم على حارم سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، وضاعفوا الحصار عليها وحدقوا بالحصن من شتى نواحيه، ونصبوا آلالاتهم حوله، كما أقامو العديد من التجهيزات داخل الحصن تأمن سلامتهم، فقاموا بعمل سلاسل خشبية من خشب الصفصاف ذات ارتفاع متوسط إلى غير ذلك من الآلات التي يحتاجها هذا العمل، كل هذا يرجع إلى أهمية حصن حارم، لأنه كان يتحكم تحكمًا تامًا في المدن والقرى الواقعة شرق نهر العاصي، كما أنه كان مصدر إزعاج وقلق لمدينة أنطاكية من ناحية حلب(٢).

ومما يجب الإشارة إليه أن استيلاء الصليبيين على حارم كان له أعظم الأثر في تثبيت أقدامهم في المناطق الواقعة شرق نهر العاصي، حيث اتخذوا من حارم قاعدة للانطلاق منها إلى القرى والمدن المجاورة(٣)، ثم أنعم الله عز وجل على نور الدين بالشفاء من مرضه، وانتقل إلى دمشق سنة ١١٥٨م(٤)، وباشر الجهاد ضد الصليبين، وحاول استرداد ما أخذه الصليبيون.

---

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٤٢٢.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٤٢٢.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٥١.

(٤)ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٣٥١، وليم الصوري، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٤٢٢،.

مما لا شك فيه أن انتصارات نور الدين قد أثارت حفيظة الصليبين، لذا رأى بلدوين الثالث أمير بيت المقدس بعد ما تيقن عدم قدرة الصليبين في التخلص من نور الدين وفرض سيطرته عليه، ولا استرجاع ما فقدوه، رأى أنه لابد من البحث عن حليف قوي يستطيع أن يلوح به في وجه نور الدين، لذا اتخذ من الإمبراطورية البيزنطية حليفة له(١)، وبهذا يكون تم تحالف بيزنطي صليبي ضد نور الدين.

رأى بلدوين في البيزنطيين قوة كبرى تساعد الصليبين في محاربة المسلمين، بالإضافة إلى أن بلدوين أراد من وراء هذا الحلف هو التخلص من أرناط أمير أنطاكية بعد أن أصبح مستاءً منه، وصل الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين(٥٣٧-٥٧٦هـ/ ١١٤٣-١١٨٠م) إلى بلاد الشام، وتم اللقاء بينه وبين بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، وتم التحالف بينهما ضد المسلمين سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، لكن خاب سعي بلدوين من إقامة هذا الحلف، لأنه في الوقت نفسه أرسل إلى نور الدين تحفًا وهدايا، وبادله نور الدين بمثلها، وتم عقد هدنة بينه وبين نور الدين، بشرط أن يطلق نور الدين سراح زعماء الصليبين المقيمين بالحبس لديه، ثم عاد الإمبراطور إلى بلاده مشكورًا دون أن يؤذي أحدًا من المسلمين، ففرح المسلمون فرحًا كبيرًا، واطمأنت نفوسهم(٢)، ورحل الإمبراطور عن بلاد الشام بعد أن اعترف أمير أنطاكية بالسيادة البيزنطية على إمارة أنطاكية وتعهده بتسليمها إياه وقتما يطلب منه ذلك(٣).

---

(١) حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ص٨٥.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٣٥٨، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٨٤.

(٣) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٥٣٣

من هنا فشلت محاولات بلدوين الثالث من إقامة هذا الحلف الصليبي البيزنطي، لأنه لم يجدي لهم نفعًا، ووجد أنه لابد من اعتماد الصليبين على أنفسهم في مواجهة نور الدين، وبعدها توفي بلدوين الثالث سنة(٥٥٧هـ/١١٦٢م) أمير مملكة بيت المقدس، وتولى من بعده أخيه عموري الأول، ثم تجددت محاولات نور الدين محمود للاستيلاء على حصن حارم في عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، منتهزًا فرصة خلو بلاد الصليبين منهم، لأن أكثرهم قد سار مع عموري إلى مصر نجدة لشاور ضد أسد الدين شيركوه[١]، فجمع نور الدين محمود العساكر وتوجه نحو قلعة حارم وحاصرها وجد في الاستيلاء عليها، نظرًا لحصانتها وكثرة ما بها من فرسان، فأعد الصليبيون العدة لمواجهة نور الدين وتكاتف بوهيمند أمير أنطاكية، وريموند الثالث أمير طرابلس، وحاكم قليقية البيزنطي، وثورس الثاني أمير أنطاكية، وتكاتفوا جميعا ووقفوا في مواجهة نور الدين،[٢] وامتنعوا عن تسليم حصن حارم، ودارت المراسلات بين الطرفين وتلطفوا الحال معه، فلما رأى نور الدين أنه لا يمكنه أخذ الحصن عاد دون فائدة[٣].

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤٥٧، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ١٣٤.

(٢) ابن واصل مفرج الكروب، جـ١، ص ١٢٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤٥٧، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ١٣٤.

لم يتوقف نور الدين على منازلة الصليبين ففي سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م، توجه لفتح قلعة حارم مرة أخرى، ويرجع السبب في هذا الفتح هي تلك الهزيمة التي مني بها نور الدين وجنوده على يد الصليبين في منطقة حصن الأكراد(١) التابع للصليبين، حيث خرج نور الدين متوجهًا نحو إمارة طرابلس محاولًا تخليصها من أيدي الصليبين ودخل حصن الأكراد(٢)، ولما علم الصليبيون بذلك فاجئوه وهجموا على معسكر نور الدين في منطقة البقيعة بالقرب من حصن الأكراد، فلم يستطع نور الدين وعساكره الصمود في وجه الصليبين، وقتل العديد من الجنود واستطاع نور الدين النجاة بنفسه، وعاد نور الدين وجهز الجيوش وأعد العدة والأخذ بثأره، وغزوهم في عقر دارهم(٣).

استعدادات نور الدين لفتح حصن حارم:

وفي نفس العام ٥٥٨هـ/١١٦٢ اتجه عموري ملك بيت المقدس لمهاجمة مصر بعد أن يئس الصليبيون من تحقيق النصر في ميدان الشام بسبب نور الدين، عندئذٍ أراد نور الدين أن يوجه ضربة للصليبين في أنطاكية من ناحية، ولكي يشغلهم عن مصر من ناحية أخرى، لذا بدأ نور الدين محمود يستنفر همم أمراء المسلمين ومراسلتهم، من أمثال أخوه قطب الدين والي الموصل، وفخر الدين بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا، ونجم الدين ألبي صاحب ماردين

(١) حصن الأكراد: قلعة حصينة مقابل حمص من غربهاعلى الجبل المتصل بجبال لبنان، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٦٢

(٢) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٤٢.

(٣) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٢٤.

وغيرهم من أمراء الأطراف يستنجد بهم، وبالفعل تجمعت الحشود من جميع الأطراف لمشاركة نور الدين في فتحه لحصن حارم وتخليصه من أيد الصليبين(١).

موقف الصليبيين من استعدادات نور الدين:

لما بلغ الصليبون ما أقدم عليه نور الدين واستعداده للاتجاه صوب حارم، حاولوا ترتيب صفوفهم وحشد عساكرهم وكانوا كثيري العدد حتى فزع المسلمون من كثرتهم، وكان في مقدمتهم البرنس صاحب أنطاكية (بوهمند الثالث)، والقمص صاحب طرابلس(ريموند الثالث)، وابن جوسلين وهو من أبطال الصليبين، ودوك الروم(قسطنطين كولومان) وغيرهم من كبار القادة، وحث نور الدين محمود أتباعه وجنوده على مواصلة القتال والتخلص من هؤلاء الصليبين واسترداد ما غنموه من المسلمين(٢).

خطة نور الدين لفتح حارم:

اتبع نور الدين محمود خطة عسكرية تهدف إلى استدراج الصليبين خارج بلادهم، فحينما اقترب الفرنج رحل هو إلى أرتاح(٣) لكي يتبعوه واستدراجهم في مكان فسيح، ويتمكن منهم ببعدهم عن بلادهم، فساروا حتى نزلوا على مدينة (عِم) وهي قرية بين حلب وأنطاكية، عندئذٍ أحس الصليبيون أنهم لا طاقة لهم

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤٦٧، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٢١، ص٤٥، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص١٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،جـ٩، ص ٤٦٨.

(٣) أرتاح: حصن منيع كان من العواصم، وهي مدينة من أعمال حلب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص١٤٠.

بنور الدين، فعادوا إلى حارم(١)، وفي طريقهم تبعهم نور الدين والتقى الفريقان واصطفوا للقتال وأحدق بهم المسلمون من كل جانب، وانقضت عساكر المسلمين عليهم، وقتل من الصليبين عددًا كبيرًا، وأسر منهم ما لا يحصى وعلى رأسهم الأمراء الذين شاركوا في المعركة (صاحب انطاكية وطرابلس وابن جوسلين(٢)، وسار نور الدين إلى حارم وفتحها في الحادي والعشرين من رمضان سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م(٣).

ولأهمية مدينة حارم اهتم بها نور الدين اهتمامًا كبير، وأنشأ بها عدة تحصينات وقام على إعمارها، وإدخال تجديدات بها، فبنى مشعلين يوقدان ليلًا ليهتدي بهما من يستطيع الهروب من بلاد الصليبين من المسلمين، وحاول الصليبيون أن يدفعوا مبلغًا من المال حوالي عشرين ألف دينارًا لنور الدين لإزالتهما ولكنه رفض ذلك(٤).

---

(١) ابن شداد،الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق٢، ص ٥٨.

(٢) قوام الدين الفتح بن علي البنداري وهو مختصر البرق الشامي لعماد الأصفهاني، تحقيق رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، ط١، سنة١٩٧١م، ص٦١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص٤٥٧، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ١٣٤، ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي) ت 808هـ/ 1405م، تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1428 هـ/ 2007م، جـ٥، ص٢٤٥.

(٣) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٢٤، أبو شامة، الروضين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٤١٩، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ١٣٤، ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص١٦٦.

(٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ١، ق٢، ص ٦٠.

محاولة الصليبيين استرداد حارم من المسلمين:

انتهى عهد نور الدين محمود بوفاته سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م[١]، وتولي من بعد ولده الملك الصالح إسماعيل (٥٧٠- ٥٧٧هـ/ ١١٧٤-١١٨١م)، ولكن حدث نزاع بين أمراء الشام على من يتولى الوصاية على الملك الصالح لأنه مازال طفلًا صغيرًا في الحادية عشر من عمره، فكان كل أمير يسعى وراء مصلحته الشخصية، وهذا بالتالي أدى إلى عدم وجود حلف متماسك ضد الصليبين المتربصين لبلاد الشام[٢]، بل إنهم أصبحوا يشكلون خطرًا على سياسة توحيد كلمة وصفوف المسلمين التي بدأت منذ عهد عماد الدين زنكي وسار على تحقيقها نور الدين من بعده، بل إن البعض من هؤلاء الأمراء أمثال كمشتكين وهو أحد أمراء نور الدين ومقدم العسكر قد استبد بالأمر بعد أن أصبح أتابكًا للملك الصالح بن نور الدين، لما رأى من تقدم صلاح الدين في بلاد الشام كدمشق وغيرها، سولت له نفسه التحالف مع الصليبين على بيع حارم لهم مقابل إبعادهم لصلاح الدين[٣].

كان الملك الصالح اسماعيل قد أعطى كمشتكين مدينة حارم بعد وفاة أبيه نور الدين، وما أن علم الملك اسماعيل بن نور الدين بأمر هذا التحالف حتى أنزل به العقوبه وعذبه حتى الموت[٤]، وعاد إلى حلب، لكن لما علم الصليبيون

(١) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٣.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٤.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ١، ص٦٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٨٨، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٨.

بمقتل كمشتكين المتواطئ معهم حاولوا الهجوم على حارم وحصارها، وكان ذلك عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م(١).

حاول الملك الصالح اسماعيل إبعاد الصليبين عن حارم فتوعدهم بخروج صلاح الدين من مصر والقدوم إليهم، ودام حصارهم لها حوالي أربعة أشهر، إلى أن تم الصلح بينه وبين الصليبين على مال يبذله لهم عوضًا عما أنفقوه ورحلوا عنها تاركين حارم بأيدي المسلمين(٢)، بعد ذلك ولى الملك الصالح اسماعيل أعمال حارم إلى صرخك غلام أبيه، وظلت في يده حتى وفاة الملك الصالح سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م(٣).

حارم على عهد صلاح الدين الأيوبي:

بعد وفاة الملك الصالح ابن نور الدين محمود تولى صلاح الدين الأيوبي(٤) أمر الشام والجزيرة، وأخذ على عاتقه إخراج الصليبين من بلاد الشام، وضمها إلى مصر، وعمل على توحيد صفوف المسلمين ورفع راية الجهاد، واستولى على حلب وتوابعها فباستيلائه على حلب أصبح أقوى حاكم في الشرق الأدنى آنذاك، وأصبحت الجبهة الإسلامية المتحدة تحت زعامته(٥)، لذا وجد الصليبيون أن حارم أصبحت بيد صلاح الدين لتبعيتها لحلب، ومن ثم فسوف يتخذ منها

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، جـ٢، ص٤٧٠، ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص٦٤.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٨٨.

(٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٣.

(٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٣.

قاعدة للإغارة على إمارة أنطاكية، لذا اضطر الصليبيون أن يعقدوا هدنة بينهم وبين صلاح الدين حتى تتمكن إمارة أنطاكية من إحكام إجراءاتها الدفاعية [١].

لما كانت حارم تابعة لولاية حلب التي استولى عليها صلاح الدين، أراد أن يأخذها من الوالي القائم عليها من قبل الملك الصالح إسماعيل، وكان يدعى صرخك وهو أحد المماليك النورية[٢]، لكن صرخك أبى أن يسلمها لصلاح الدين، فبذل له المال لكي يبعده عن حارم، فطمع وطلب المزيد من صلاح الدين، ولم يكتف بذلك، بل خان صلاح الدين وراسل الصليبين يطلب نجدتهم والتخلص من صلاح الدين، فعلم بعض أصحاب صرخك بما كان ينوي على فعله فقتلوه[٣].

عرف أصحاب صرخد صلاح الدين بما فعله مع الصليبين، وما هم فعلوه به وطلبوا منه الأمان لأنفسهم فأجابهم إلى طلبهم، وتسلم صلاح الدين حارم سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م، ورتب أمورها وأرسى قواعدها، وولى عليها خادمًا له يسمى سربك[٤]، وقد اتخذها صلاح الدين مركزًا لانطلاق جيوشه نحو الجنوب للمشاركة في معركة حطين، وما زالت حارم في يد صلاح الدين إلى أن مات سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م[٥].

---

(١) سعيد عاشور: الحركة الصيبية، جـ٢، ص٦٦.

(٢) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٨٧، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ١، ص٦٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص١٢٢، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ١، ص٦٧.

(٤) ابن العديم، زبدة حلب، ص٣٩٥، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، جـ١، ص٦٧.

(٥) وظلت حارم في يد ملوك حلب، إلى أن استولى عليها التتر، وسلم جميعها للبرنس صاحب أنطاكية وطرابلس، وما زالت في يده إلى أن فتحها السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر والشام وجعل فيها نوابًا يحفظونها وتسلمها سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٩م ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٧١.

أهم ما توصلت إليه الدراسة:

- أن البيزنطيين جعلوا من هذه البلدة الصغيرة مدينة وأقاموا بها حصنا وقلعة، ومن ثم كانت لها أهمية كبيرة في الصراع الإسلاي البيزنطي.

- كانت حارم تعتبر العقبة الكؤود في طريق كلا من البيزنطيين ثم الصليبين من أجل الوصول إلى مدينة حلب.

- كان سكان حارم يشكلون خليط من أرومن وروم وعرب وأتراك، وكان العنصر الغالب في سكانها من الأرمن.

- لم تكن حارم بمنأى عن المطامع فيها، بل استغلها البيزنطيون ومن بعدهم الصليبيون عندما وقعت تحت أيديهم كنقطة انطلاق للإغارة على المدن الإسلامية في شمال الشام، واتخذوها قاعدة عسكرية لجيوشهم.

- تعتبر حارم بمثابة مركزًا دفاعيًا وتغرًا مهمًا لحدود الدولة الإسلامية، وهدفًا للهجمات البيزنطية خلال العصر الأموي والعباسي، وساندت الكثير من المدن المجاورة خلال الهجمات البيزنطية المتكررة على الثغور الإسلامية.

- وأخيرًا لعبت حارم دورًا بارزًا في الجهاد الإسلامي ضد الصليبين عندما دخلت ضمن مدن الجبهة الإسلامية الموحدة بقيادة نور الدين محمود وحتى نهاية العصر الأيوبي بالشام، كما شاركت في التصدي للزحف المغولي على بلاد الشام.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل) ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزنبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- ابن الأثير(عز الدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفدا القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، التاريخ الباهر للدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.

- البلاذري(يحي بن جابر) ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م، البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق أيمن محمد عرفة، المكتبة الوقفية، القاهرة، د.ت.

- ابن بيبي، مختصر سلجوق نامه، الذي يعد اختصارًا لكتاب الأوامر العلائية لابن بيبي، ترجمة وتقديم محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، د.ن، د.ت.

- ابن تغري بردى(جمال الدين يوسف بن تغري بردي) ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة١٤١٣هـ،١٩٩٣م،١٦جزء.

- ابن حوقل (أبو القاسم محمد) ت ٣٦٧ هـ/ ٩٨٧ م، المسالك والممالك، ليدن، سنة ١٨٧٣م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨ هـ.

- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباسي أحمد إبراهيم بن أبو بكر الشافعي) ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، وطبعة أخرى تحقيق د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف) ت٣٧٨هـ /٩٨٨ م، مفاتتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ستة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط ١١، سنة١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر) ت أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، سنة١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م.

- سبط بن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف)

ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م،، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٣٤ه/ ٢٠١٣م.

- ابن سعيد الأندلسي (على بن موسي) ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط١، سنة ١٩٧٠م

- أبو الفدا (عماد الدين بن إسماعيل)، تقويم البلدان، باريس، سنة ١٨٣٠م.

- ابن الشحنة (أبو الفضل محمد) ت٨٩٠هـ/ ، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبدالله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، سورية، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم) ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- العظيمي(محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي) ت٥٥٦هـ/ ١١٦١م، تاريخ حلب، جامعة الملك سعود، د.ت.

- الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب) ت٣٥٩هـ/٩٦٩م، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- قدامة بن جعفر(أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد)

ت٣٢٩هـ/٩٤٠م، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد الزبيدي، دار الرشيد للنشر، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

- القلقشندى(شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على) ت ٨٢١هـ ١٤١٨م، صبح الأعشي في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، د.ت، نسخة أخرى طبعة دار الكتب المصرية، سنة١٣٤٠هـ/١٩٣٢م.

- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م،، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الشيال، القاهرة، د.ت.

- قوام الدين الفتح بن علي البنداري وهو مختصر البرق الشامي لعماد الأصفهاني، تحقيق رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، ط١، سنة١٩٧١م.

- الواقدي(محمد بن عمر بن واقد السهمي) ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م، فتوح الشام، تحقيق هاني الحاج، المكتبة الوقفية، د.ت.

- ابن الوردي(عمر بن مظفر بن أبي الفوارس) ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م، تتمة المختصر، طبعة أكسفورد، د.ت.

- ياقوت الحموي،(شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) ت ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، معجم البلدان، دار صادر بيروت، سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

المراجع العربية:

- أسد رستم، الروم في سياستهم ودينهم وثقافتهم وحضارتهم وصلاتهم

بالعرب، دار المكشوف، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م.

- حافظ حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، مطبعة الاعتماد، سنة١٩٥٠م.

- حسن حبشي، نور الدين والصليبيون حركة الإفاقة والتجمع الإسلامي في القرن السادس الهجري، دار الفكر العرب، د.ت

- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٩، سنة ٢٠١٠.

- الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر، القاهرة، ط٣، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩ م.

- عبد النعيم محمد حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدارالقومية للطباعة والنشر، د.ت.

- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية،دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٧، سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

- محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥- ١٢٩١، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ت.

- مسفر بن سالم الغامدي، الجهاد ضد الصليبين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، (٤١٩-٥٦٩هـ/ ١٠٩٧- ١١٧٣م)، دار

المطبوعات الحديثة، السعودية، ط١، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦.

المراجع المعربة:

- زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، أخرجه حسن محمد حسن، حسن أحمد محمود،، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، سنة١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- ستيفن رانسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٤م.

- ابن العبري(غريوريوس أبو الفرج أهرون) ت٦٦٠هـ/١٢٨٦م، تاريخ مختصر الدول، صححه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دتر الرائد اللبناني، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- فالتر هانتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، سنة ١٩٧٠م.

- فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

- قسطنطين بورفيروجنتيوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، تعليق محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠.

- نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام، ترجمة حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، مكتبة المهتدين، القاهرة، سنة ١٩٥٠م.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصـــرية العامة للكتب، سنة١٩٩١م،

المراجع الأجنبية:

- E.C.Smail:

Crusading Warfare, Cambridge 1956

- Willam of Tyre:

A history of Deeds Done Beyond The Sea.2 Vols.Tras and annotated by Emily Babcok and A.C.New Yourk. 1943.

- Rene Grousset:

The Empirof the Steeepes Ahistory of Central Asia, Traslated from Tbe Frencb by Naomi Walford, New Jersey, 1970

- The cambridge History of Islam, Edıted by P.M. Holt, Camb,1970.

المواقع الإلكترونية:

ويكيبديا الموسوعة الحرة

Ar.Wikipedia.Org.

خريطة توضح مدينة حارم

محمد سهيل طقوش: تاريخ الحروب الصليبية

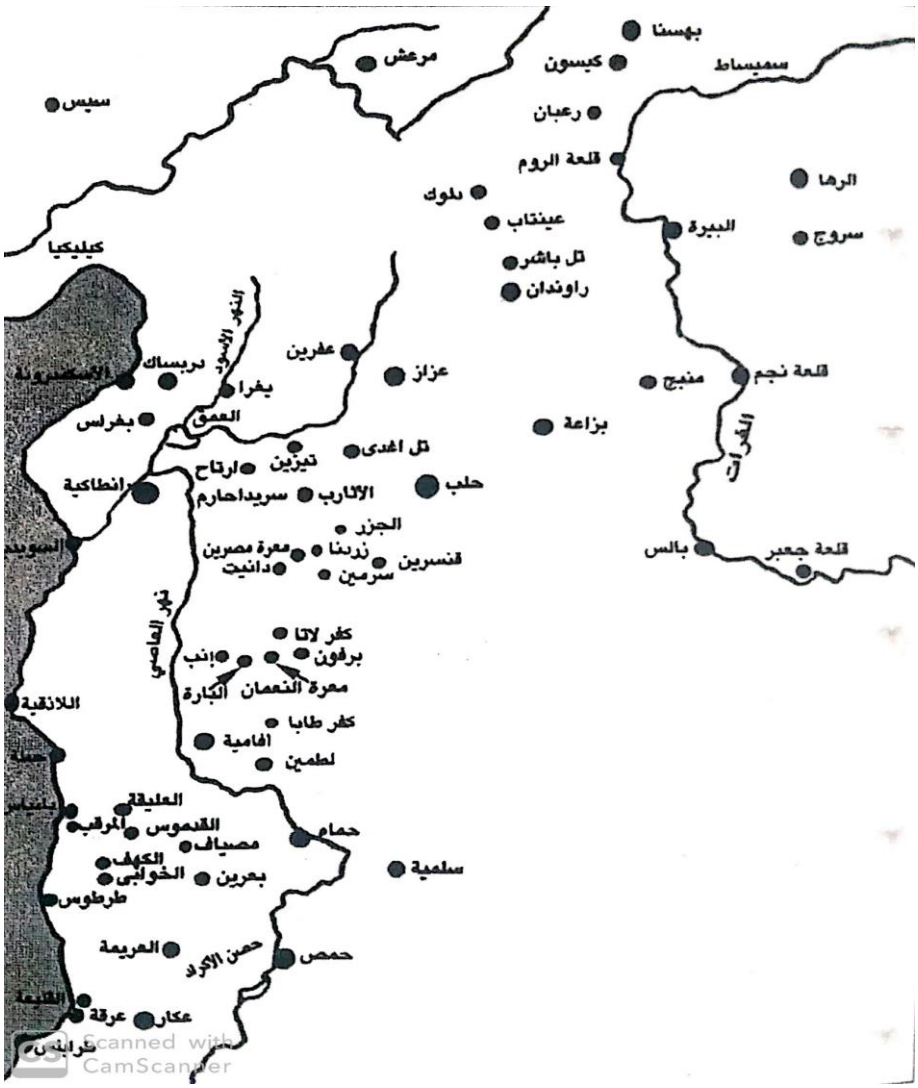

Scanned with CamScanner

خريطة توضح موقع حارم وتوسطها بين مدينتي حلب وأنطاكية

المصدر: ويكيبديا الموسوعة الحرة

Ar.Wikipedia.Org.

صورة حديثة تجسد عظمة حصن حارم

المصدر: ويكبيديا الموسوعة الحرة

Ar.Wikipedia.Org.